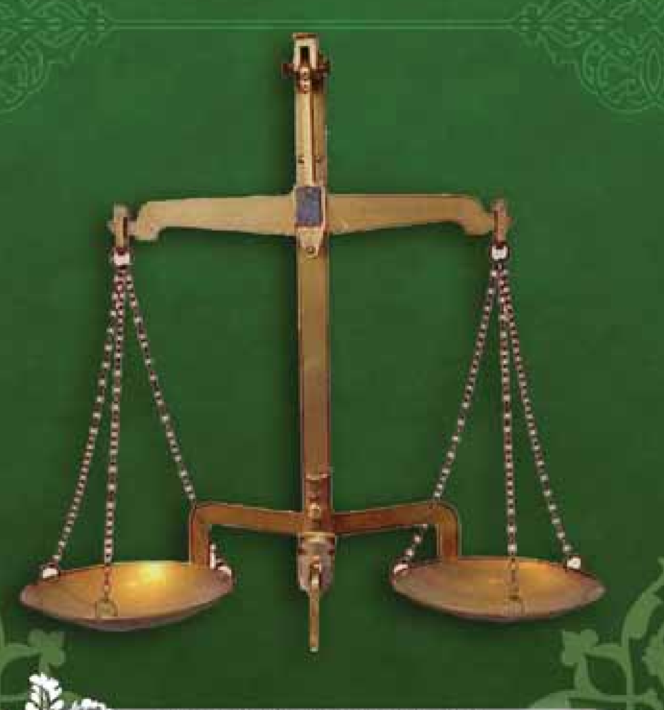
مَعَ الإمامِ السَّجَّادِ في رِسالةِ الحُقُوق







مَعَ الإمامِ السّجّادِ في

رِسالةُ الحُقوق



الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة

قسم الثقافة والإعلام

الشؤون الفكرية والثقافية

١٤٣٣ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ

أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ

العنكبوت – الآية – ٤٩

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد المصطفى وعلى آله الميامين..

إن الأئمة المعصومين عليهم السلام كان لهم الدور البارز في الساحة الإسلامية من خلال تناولهم كل المجالات في الحياة وكانوا بمثابة الدفة التي تقود سفينة الأمة نحو النجاة، لا يبرحون في المحافظة على مسيرتها، فهذه آثارهم تشهد بفيضهم الزاهر، وسابغ نميرهم من الفقه إلى العقائد إلى العرفان، انتهاءً بمختلف المعارف الإسلامية في مجال السياسة والمجتمع والمشاركة في مختلف شؤونه.. وكان حضورهم بالطليعة.. يقودون الحركات بشكل مباشر وغير مباشر لإنعاش الأمة بروح الإيمان كي يبقى الإسلام حيا، ويربّون آلاف الشخصيات، تربية رسالية مبنية بالمعارف والعلوم والبلاغة.

فاستذكارهم والتزود منهم هو في الحقيقة امتداد طبيعي للرسالة التي أرادها أهل البيت عليهم السلام أن تسود، تماما مثل ما أرادوا للقيم والأخلاق أن تزدهر.. ومن هؤلاء الإمام علي بن الحسين عليه السلام الذي أخذ على عاتقه تربية الأمة بأسلوب يرتقي بها إلى مصاف الكمال الإنساني وذلك من خلال رسالة الحقوق التي سبق بها كل العلماء والقانونيين في دنيا الإسلام

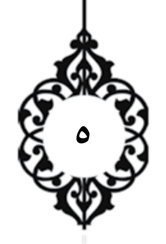


بل في دنيا الإنسان في هذا المضمار الذي على أساسه ترتكز أصول الأخلاق والتربية ونظم الاجتماع.

لقد بينت رسالة الحقوق كيفية تنظيم العلاقات الفردية والاجتماعية للإنسان في هذه الحياة بنحو يحقّق للفرد والمجتمع سلامة العلاقات، ويجمع لهما عوامل الاستقرار والرقيّ والازدهار.

إنّ تنظيم العلاقات الاجتماعية على أساس تعيين مجموعة الحقوق بشكل دقيق هو الرصيد الأول للنظام الاجتماعي الإسلامي، فإنّ الذي يفهم بعمق هذه الرسالة ويستوعب بدقّة حقوق الله وحقوق العباد سيتسنّى له أن يفهم كيف ينتهج جادة الحق والصواب وتحصيل الثواب في الدنيا والآخرة، كما سيعرف كيف ينأى بنفسه عن مسالك الباطل وكيف يحصن نفسه من الذنوب التي تهتك العصم وتنزل النقم.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المقتدين بأئمة أهل البيت عليهم السلام ومن العاملين على تطبيق وصاياهم لنيل رضا الله عز وجل.. إنه سميع مجيب.







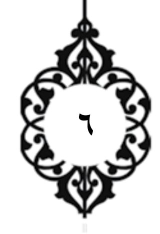
حق الله

«اعلم رحمك الله.. أن لله عليك حقوقاً محيطة بك في كل حركة حركتها أو سكنة سكنتها أو منزلة نزلتها أو جارحة قلبتها أو آلة تصرفت بها، بعضها أكبر من بعض وأكبر حقوق الله عليك ما أوجبه لنفسه تبارك وتعالى من حقه الذي هو أصل الحقوق ومنه تفرع...»

يبتدأ الإمام السجاد عليه السلام بنص رسالة الحقوق التي يستهلها بحق الله على العبد وهو حق العبودية لله تعالى والخضوع له خضوعاً تاماً، ولكن قبل ذلك يضع الإمام منهاجاً لكل إنسان ذو لب وعقل راجح وهو منهج المراقبة الدائمة والمستمرة على الدوام نستطيع تلخيصها بأهم هذه النقاط:

١- إن الإنسان محاسب ليس في الحركة فقط بل الحركة وعدم الحركة أيضاً، أي حتى وإن لم يقم بأي حركة فأنه سوف يخضع للحساب ويُسأل على ذلك فقوله عليه السلام: «أن لله عليك حقوقاً محيطة بك في كل حركة حركتها وكل سكنة سكنتها» وهنا قد يسأل السائل كيف يحاسب الإنسان أو أن لله على عبده حقاً في سكونه مع أنه لم يتحرك أي حركة؟

يمكننا القول بأن سكون الإنسان لا يمكن أن يعد عدم الحركة مطلقاً بل أن هناك حركة عقلية وإن كان ساكناً لا يتحرك



فـإن العقـل لا يتوقف عن التفكير لحظة واحدة ما دام شـعوره بالخارج موجود، نعم قد يتوقف عن النوم فقط فبالتالي لا بد أن يكون الإنسان في كل حركة وسكنة خاضعاً للحساب والمراقبة فكم من فكرة خاطئة شيطانية نفذت على أرض الواقع فكانت نتائجهـا ذهاب آلاف مـن الدماء البريئة الـتي لا ذنب لها غير أنها كانت تقف ضد أفكار هدامة مريضة بحب الأنا.

فهـذه أول قاعـدة يضعهـا الإمام لنـا في طريـق العبودية لله تعـالى وأصـل الحقوق التي يجب على الإنسـان الالتزام بها إذا أراد السعادة والنجاة في الحياتين الأولى والآخرة.

٢- مراقبة الإنســان نفســه في كل حال من الأحوال وكل وضع وموقف.

٣- إن هـذه المراقبـة هـي الخطوة الأولى في معرفـة الله تعالى ومعرفة حقه وصفاته وأفعاله لكون أن الإنسـان لا يستطيع أن يكون مراقباً لله تعالى من دون أن يعرفه معرفة تامة شاملة لله عز وجل.

٤- إن المراقبـة والمحاسـبة للنفـس مسـتمرة، وبهـذه الصورة يعطـي معنـى في النفس وهو عقيدة وجـود الله عز وجل في كل مكان وزمان ولا يخلو منه شيء من الأشياء.

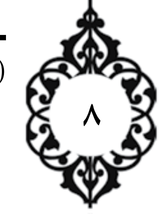




لقد استهل الإمام زين العابدين عليه السلام بحق الله تعالى فهو أعظم الحقوق وأوجبها، لذلك يجب أن يؤدى كاملاً بأن يعبده وحده دون سواه يعبده وحده بلا شريك، لأنه وحده المستحق للعبادة من دون شريك، ومثل هذه العبادة تهيمن على الشعور والسلوك فهي منهج كامل للحياة يشمل تصور الإنسان لحقيقة الألوهية وحقيقة العبودية ولحقيقة الصلة بين الخالق والمخلوق ولحقيقة القوة والقيم في الكون وفي حياة الناس ومن ثم ينبثق نظام للحياة البشرية قائم على ذلك التصور فيكون لدى الإنسان منهج للحياة بصورة كاملة ذلك المنهج هو المنهج الخاص الرباني مرجعه إلى حقيقة الصلة بين العبودية والألوهية، فإن أقرت هاتان الحقيقتان على المستوى العلمي لدى الإنسان كانت حياته حياة سليمة وسعيدة أو كما عبرت عنه الرواية بمزرعة الآخرة فعن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «الدنيا مزرعة الآخرة»[1].

نجد في هذا النص الشريف من رسالة الحقوق إن الإمام عليه السلام يدعو إلى العبادة التي تتلخص فيها جميع الديانات السماوية على الإطلاق ويدعو الإمام عليه السلام في هذا النص إلى العبادة بإخلاص فقد تكون العبادة ولا يكون معها الإخلاص وهذا النوع من العبادة غير نافع تماماً بل لا ثمرة فيه على الإطلاق،

(١) عوالي اللئالي/ ج١ ص٢٧.



بـل أن العبـادة لا بد أن تكون نابعة من روح الإخلاص لله تعالى في كل عبادة يتعبد بها الإنسـان، ودعوة الإمام هذه هي نفسـها محض الإخلاص تبتغي وجه الله وترجو فضله، وهي في الواقع مسـتمرة من المنبع المعين الذي لا ينضب مسـتمدة من القرآن الكريـم، فالقـرآن تكاد تغلـب عليه صفة الدعـوة المخلصة إلى الله تعالى وعبادته والإيمان به وحده دون من سواه، فلقد وردت أكثـر مـن آية من آيات الذكـر الحكيم في دعـوة الناس والإلحاح عليهـم إلى أن يعملـوا من أجل التوصـل إلى العبادة بإخلاص وأن يضربوا في الأرض إن كان التوصل إلى العبادة متوقفاً على هذا الضرب في الأرض قال تعالى:

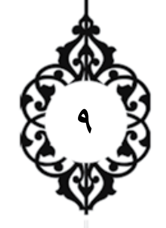
﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾[1].

حقيقة العبادة:

إن حقيقة العبادة تتمثل في أمرين رئيسين:

الأول: هو استقرار معنى العبودية لله في النفس، أي استقرار الشـعور الإنسـاني علـى أن هناك عبـداً وربـاً، عبـداً يصبر وأن ليس من وراء ذلك شـيء ليس في هذا الوجود إلا عابد ومعبود ولا يوجـد رباً إلا الله والكل له عبيـد، نعم هناك عبيد عاصون

(١) العنكبوت/ آية٥٦.





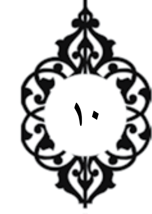
لأمـر مولاهـم وسـيدهم ولكن هـذا العصيـان وهـذا العناد لا يخرجه من عنوان العبودية لله وإن أبى وأنكر وجوده.

الثانـي: هـو التوجه إلى الله بـكل حركة في الفكـر وكل حركة في الجـوارح وكل حركـة في الحيـاة وهـذا ما قدمنا لـه في بداية بحثنـا في أن الإنسـان محاسـب ومراقـب في كل حركة وسـكنة وفعل يفعله في حياته.

مفهوم العبادة:

هنـاك مفهوم خاطـئ للعبادة بين الناس علـى الأغلب، وهي طاعة القهر والسـخط وطاعة على الجهـل والغفلة، أي عبادة لم تقم على أساس الرضا والتسليم لله عز وجل والحب والعشق الإلهـي على اختلاف مسـتويات العبد ودرجـة قربه من الله عز وجل ولم تصل إلى مستوى طاعة المعرفة والعلم.

مثـال علـى ذلك قـد تصدر الحكومـة أمراً بتسـعير البضائع فيقبـل التجـار كارهين، أو صدور أمر بخفـض الرواتب فيقبل الموظفون سـاخطين، وقد تشـير إلى البهيمـة العجماء فتنقاد إليـك لا تـدري إلى مرتعهـا أم إلى مصرعهـا، تلـك أنـواع مـن الطاعـات يبعـده عن معنـى العبادة الـتي شـرعها الله للناس،



فالعبادة التي أجراها الله على الألسنة في الآية الكريمة:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

وتلك جعلها حكمة الوجود وغاية الأحياء في قوله

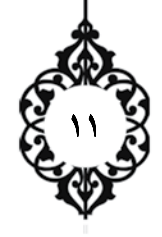
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(١)

تعني الخضوع المقرون بالمعرفة وا لمحبة لا غير، أي الناشئ عن العلم والانبهار بالعظمة والعرفان لجميل صنع الله عز وجل في خلقه قال تعالى.

إن العبادة شعور مكتمل العناصر يبدأ بالمعرفة العقلية ثم بالانفعال الوجداني ثم بالحركة السلوكية وهذا الأخير هو الثمرة المتحصلة من الخطوات التي قبلها وهذا هو الموضع الصحيح لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وإحسان الخلق وقول الحق وسائر العبادات الأخرى، فإن مفهوم العبادة لا يقتصر على تأدية الصلاة اليومية فقط وصيام شهر رمضان كما يتصوره أكثر الناس بل أن العبادة على ما قرره الإمام عليه السلام في بداية قوله في الحقوق: تدخل في كل حركة وسكنة، واستعمال الأدوات وا لجوارح وكل شيء متعلق بالإنسان فالنتيجة تكون أن حياة الإنسان منذ ابتداء تكليفه وحتى موته في عبادة مستمرة.

إن مفهوم العبادة الحقيقي والذي جاء به الإسلام هو معرفة

(١) آل عمران/ آية ١٩٠-١٩١.





الله معرفــة صحيحة والعقل المســتنير بهــذه المعرفة هو القائد الواعي والمحرك الأســاس لكل ســلوك صحيح وإذا تلاشت هذه المعرفة من لب الإنسان لا يصح له دين ولن تقوم له فضيلة.

المعرفة بالله تهوّن العذاب:

إن المعرفــة الصحيحة لله تهون مــن قيمة الأخطاء والمعاصي التي يتورط فيها المرء،فالاخطاء هي أخطاء عارضة قد تعرض على الإنســان في حالة الغفلة والســهو نجد أولها إذا قورنت مع المعرفــة الإلهيــة الحقيقيــة المبنيــة علــى الأصــول الصحيحة والخالية من الشرك ا لجلي أو الخفي تكون مهونة لتلك المعاصي والذنــوب من جهة الشــفاعة مــرة أو من جهــة الرحمة الإلهية التي وســعت كل شــيء مرة أخرى، ولكننا نجد في المقابل أن من ليــس لــه معرفة حقيقية بالله ووصــل إلى حد ا لجهل بالله فإن هــذه العبــادة وإن كانت صادرة من ذلك الإنســان إلا أنها عبادة ناقصة غير مبنية على الأسس الصحيحة التي أراد منا الله أن نعبده بها قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾[1]

(١) النساء/ آية ١١٦.



فالمطلوب من العبد هو أولاً الاعتقاد الصحيح المبني على المعرفة الصحيحة، وأما العمل فأنه يأتي في المرتبة الثانية، بينما إذا كان العبد له عبادة كاملة ولكنه يحمل عقيدة فاسدة أمثال «النواصب والخوارج» فإنها لا تغني ولا تسمن من جوع، قال الإمام الصادق عليه السلام: «لو أن عبداً عبد الله ألف عام حتى ينقطع علباؤه هرماً ثم أتى الله ببغضنا أهل البيت لرد الله عليه عمله»[1]، فهذا التشديد على التمسك بولاية أهل البيت يأتي من باب أن العقائد والمعرفة الإلهية لا يمكن أن يصل إليها الإنسان إلا عن طريق أشخاص جعلهم الله هداة للناس ومناراً للأمة وأماناً للمسلمين وحفّاظاً للشرع.

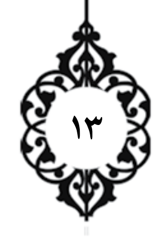
ثمرة المعرفة كفاية أمر الدنيا والآخرة:

«فإذا فعلت ذلك بإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة، ويحفظ لك ما تحب منها».

هذه الخاتمة التي يختتم بها الإمام عليه السلام حق الله تمثل الثمرة من العبادة الصحيحة الخالصة لوجهه عز وجل، والنتيجة تتلخص بثلاثة أمور:

١- كفاية أمر الدنيا كالمعيشة وهمها والعيال وصعوبة حياتهم وغيرها من صعوبات هذه الحياة التي تمر على الإنسان التي قد

(١) مستدرك الوسائل/ ج١ ص١٦٢.



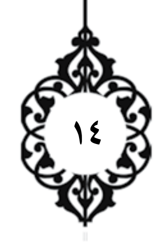


تصل به إلى حالة اليأس لولا إيمانه بالله واعتقاده بأنه هو الرحمن الرحيم بعباده.

٢- النجاح والإنجاح في الدار الآخرة تلك الحياة التي ستكون سرمدية لا نهاية لها ومعنى الكفاية في تلك الدار الآخرة لا يكون معناها إلا ا الجنة والنعيم المقيم.

٣- إن الله عز وجل يحفظ للمؤمن ما يحب من دنياه ويرزقه إياه في الآخرة بغض النظر عما هو يحبه فربما يحب الإنسان أشياء ولكنه لا يريد أن يفعلها لأنها محرمة أو مكروهة، وقد توجد أشياء يحبها المؤمن ولكن لا طاقة له في فعلها لعسرها عليه وضعف حاله، ونستطيع أن نرتقي في الموضوع في كون أن المؤمن يحب محمداً وآل محمد في الدنيا ولكنه لم يدركهم لأن زمانه وقع في غير زمانهم سلام الله عليهم أجمعين لكن في النهاية سيكون اللقاء بهم محفوظا لهم في الآخرة والنعيم بقربهم ولقائهم صلوات الله عليهم أجمعين.

٤- إن هذه الوعود قد أقسم الله تعالى وضمنها على نفسه لعبده فلا يمكن أن تتخلف أو تختلف في يوم ما أو زمان ما.





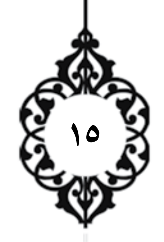


حق اللسان

«وأما حق اللسان: فإكرامه عن الخنا، وتعويده الخير وترك الفضول التي لا فائدة لها، والبر بالناس وحسن القول فيهم، وحله بالآداب، وإجمامه إلا لموضع الحاجة والمنفعة للدين والدنيا، وإعفائه من الفضول القليلة الفائدة التي لا يؤمن ضررها مع قلة عائدتها، وبعد شاهد العقل والدليل عليه، وتزيين العاقل بعقله حسن سيرته في لسانه. ولا حول إلا بالله»

يصل الإمام عليه السلام إلى جارحة من أهم الجوارح للإنسان ألا وهي جارحة اللسان، فإذا قلنا أن اللسان من أهم الجوارح فليس ذلك من جزاف القول، بل أنها حقيقة مهمة لدى المتأمل والمتدبر بهذه الجارحة العظيمة التي سماها بعض العلماء «الجارحة ذو الوزارات الأربع».

إن كل عضو من أعضاء الحس له وظيفة واحدة إلا هذا اللسان، فالعين للبصر، والأذن للسمع، والأنف للشم، والأنامل أشد جوانب الجلد إحساسا باللمس، أما هذا اللسان فقد شاءت له الحكمة الإلهية أن يكون آلة للذوق، وآلة للمضغ والبلع والهضم، وآلة للحس واللمس، وآلة للتكلم.





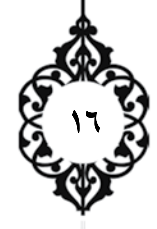
أهمية اللسان في الكلام

اللسان: عضو الكلام والذوق، وهو كتلة عضلية مغطاة بالغشاء المخاطي تملأ أكثر الفم، وظيفته جمع الطعام الممضوغ في الفم وهو أيضا: ترجمان الضمير وآلة المنطق والبيان، وإن كان عضواً بسيطا مركبا من اللحم والدم والأعصاب والشرايين والأوردة كباقي الأعضاء إلا أنه سر الحياة الصحيحة، حتى عبروا عنه بنصف الإنسان، وا لجزء الذي لا يتجزأ من ا لجنان، ويؤيد هذا قول علي أمير المؤمنين عليه السلام: «المرء بأصغريه قلبه ولسانه». وفيه قال الشاعر زهير بن أبي سلمى:

لسانُ الفتى نصفٌ ونصف فؤاده

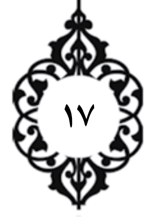
فلم يبقَ إلا صورة اللحم والدم

وهو مؤتَمِرٌ بأوامر الإرادة المنفذة للضمير فإن الضمير يوحي إلى اللسان ما يشاء والإرادة تحركه، فينطق بمكنونات الضمير، وما يتخلق به المرء من صفات إيجابية تعلي من شأن صاحبها وترفع من مكانته، أو من أخلاق ذميمة تؤدي بذويها إلى الردى، وتنحدر بهم في مهاوي الدرك الأسفل، وهو من النعم ا لجليلة التي حبانا الله سبحانه بها، لذلك يجب علينا أن نعطيه حقه بأن نصونه من مبتذل القول وبذيء الكلم، وأن نجنبه الآفات التي تعود على الإنسان بالضرر والخسارة، وأن نعوّده على الخير



مثل إصلاح ذات البين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونشر العلوم النافعة، وغير ذلك ومن حقه كذلك أن يعفى عن الكذب، وفضول القول الذي لا يرجع على صاحبه بالخير، وربما عاد عليه بالضرر.

وهو أيضا نقمة.. وأي نقمة إنْ هو تُرِك ولم يُمسك عليه، وهو عجيب من عجائب خلق الله، ولطائف صنعه الغريبة، فإنه صغير جُرمه كبير ضرره، فترى الكفر والإيمان، والبغض والمحبة، والشر والخير، والسفاهة واللطافة، لا يستبين شيء منها ولا يعرف حق المعرفة إلا باللسان، ثم لا يكبّ الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم، ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيده بلجام الصمت، فلا يطلقه إلا فيما ينفعه في الدين والدنيا. إن خطر اللسان عظيم، ولا نجاة من خطره إلا بالصمت، فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه، قال ﷺ: «من صمت نجا»، وقال: «الصمت حكم وقليل فاعله» ثم في الصمت راحة الجسم والحواس، والأمان من اللوم والإثم، والاستغناء عن المعذرة من الهفوات، وملك عنان النفس التي كثيراً ما تقذف بقوس اللسان، تلك القارصات الجارحات كأنها تقذف أسهما لا تندمل جروحها، بخلاف الأسهم التي تصيب الهدف فتميته، وكثيراً ما تحيل الصديق عدوا والخير شراً. وقد قيل في هذا المعنى:



جراحات السنان لها التئام ولا يلتئم ما جرح اللسان

هذه إحدى فوائد الصمت وحبس اللسان عن النطق إلا فيما يعود بالنفع كما تقدم ومن فوائده أيضاً: راحة الفكر وإمكان توسيع دائرته وإقامة الدلالة والبرهان على ما يقرره من صواب أو خطأ، وهذا ما لا يمكن أثناء التكلم، إذ لا فكر بدون صمت، ولا إصابة بدون إمعان فكرة وإعمال بصيرة، فمن أجل ذلك كله أكد الإمام زين العابدين عليه السلام على أهمية حق اللسان في كلتا حالتيه؛ الكلام والصمت.

حق السمع:

«وأما حق السمع فتنزيهه عن أن تجعله طريقا إلى قلبك إلا لفوهة كريمة تحدث في قلبك خيرا أو تكسبك خلقا كريما فإنه باب الكلام إلى القلب يودي إليه ضروب المعاني على ما فيها من خير أو شر ولا قوة إلا بالله».

في هذا المقطع من رسالة الحقوق يوضح الإمام علي زين العابدين عليه السلام فيه حق ا الجارحة المرتبطة بجارحة اللسان ألا وهو السمع، فإن السمع هو الأداة المتلقية للصوت الخارج من اللسان فلذلك قلنا أنه مرتبط ارتباطاً كبيراً بجارحة اللسان فنجد الإمام عليه السلام قد وضع الحدود لهذه القوة وهي قوة السمع من أن الحفاظ عليها والتنزيه لها عن كل ما يوصل الفساد إلى



القلب وذلك لكون السـمع هو إحدى بوابات القلب والتي يتأثر بها بصورة مباشرة، وهذه قد تعد من الإعجازات العلمية، فقد أثبتـت التجـارب في العلـم الفسـيولوجي أن الإنسـان حينمـا ينـام تبقـى حاسـة السـمع متصلة مـع العـالم الخارجي لكن بصورة خفيفة وصغيرة والدليل على ذلك أن السـمع هو الأداة المسـتعملة في إيقاض النائم وليس شـيء آخر ، فنجد من دقة الإشارة التي أشار إليها الإمام عليه السلام بتعبيره الموجز من أن السمع هـو بوابـة القلب والمتأثر بها تأثراً كبـيرا فلذلك لا بد أن يكون الإنسـان حريصـا في انتقاء نـوع الأصوات التي يسـمعها لأنها ستؤثر وتغير في تراكيب قلب المؤمن.

سماع الأغاني:

من تلك المصاديق في انتخاب ما يسمعه السامع من الأصوات لتجنـب المضـر منهـا هو سمـاع الأغانـي والموسـيقى ا لمحرمة، والسؤال هو لِمَ حُرّم الغناء؟

إنّ التدقيق في مفهوم الغناء تجعل الغاية من تحريم الغناء واضحـة جـدّاً فبنظـرة سـريعة إلى معطيـات الغناء سـنواجه المفاسد الآتية:

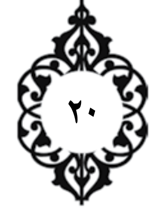




أوّلا: الترغيب والدعوة إلى فساد الأخلاق:

لقد بيّنت التجربة. والتجربة خير شاهد. أنّ كثيراً من الأفراد الواقعين تحت تأثير موسيقى وألحان الغناء قد تركوا طريق التقوى، واتّجهوا نحو الشهوات والفساد، إنّ مجلس الغناء. عادةً. يُعدّ مركزاً لأنواع المفاسد، والدافع على هذه المفاسد هو الغناء. ونقرأ في بعض التقارير التي وردت في الصحف الأجنبية أنّه كان في مجلس جماعة من الفتيان والفتيات فعُزفت فيه موسيقى خاصّة وعلى نمط خاص من الغناء، فهيّجت الفتيان والفتيات إلى الحدّ الذي هجم فيه بعضهم على البعض الآخر، وعملوا من الفضائح ما يخجل القلم عن ذكره. وينقل في تفسير «روح المعاني» للآلوسي حديثاً عن أحد زعماء بني أمية أنّه قال لهم: «إيّاكم والغناء فإنّه ينقص الحياء، ويزيد في الشهوة، ويهدم المروءة، وإنّه ينوب عن الخمر، ويفعل ما يفعل السكر» ، وهذا يبيّن أنّه حتّى أولئك المنغمسين في اللذائذ كانوا مطّلعين على مفاسد الغناء أيضاً، وعندما نرى في الرّوايات الإسلامية: «أنّ الغناء ينبت النفاق»، فإنّه إشارة إلى هذه الحقيقة، وهي أنّ روح النفاق هي روح التلوّث بالفساد والابتعاد عن التقوى، عن علي بن عبد الرحمن، عن كليب الصيداوي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «ضرب العيدان ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الخضرة»[1].

(١) وسائل الشيعة ج ١٧ ص٣١٣



وإذا جاء في الرّوايات أنّ الملائكة لا تدخل البيت الذي فيه غناء، فبسبب التلوّث بالفساد، لأنّ الملائكة طاهرة تطلب الطهارة، وتتأذّى من هذه الأجواء الملوّثة.

ثانياً: الغفلة عن ذكر الله:

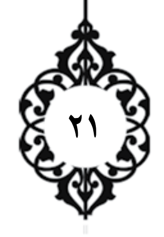
إنّ التعبير باللهو الذي ورد في الآية الشريفة:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[1] فُسّر بالغناء في بعض الرّوايات إشارة إلى حقيقة أنّ الغناء يجعل الإنسان عبداً ثملا من الشهوات حتّى يغفل عن ذكر الله، وهذه الآية تشير إلى أنّ لهو الحديث أحد عوامل الضلالة عن سبيل الله، وموجب للعذاب الأليم، في حديث عن الإمام علي عليه السلام: «كلّ ما ألهى عن ذكر الله وأوقع الإنسان في وحل الشهوات فهو من الميسر[2]». أي في حكم القمار.

---

(١) لقمان/ آية ٦.

(٢) وسائل الشيعة، الجزء ١٢، صفحة ٢٣٥.

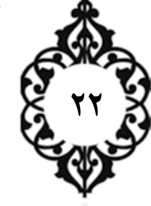




ثالثاً: الإضرار بالأعصاب:

إنّ الغناء والموسيقى - في الحقيقة - أحد العوامل المهمّة في تخدير الأعصاب، بتعبير آخر: إنّ الموادّ المخدّرة ترد البدن عن طريق الفمّ والشرب أحياناً كالخمر، وأحياناً عن طريق الشمّ وحاسة الشم كالهيروئين، وأحياناً عن طريق التزريق كالمورفين، وأحياناً عن طريق حاسّة السمع كالغناء.

ولهذا فإنّ الغناء والموسيقى المطربة قد تجعل الأفراد منتشين أحياناً إلى حدّ يشبهون فيه السكارى، وقد لا يصل إلى هذه المرحلة أحياناً، ولكنّه يوجد تخديراً خفيفاً، ولهذا فإن كثيراً من مفاسد المخدرات موجودة في الغناء، سواء كان تخديره خفيفاً أم قويّاً. إنّ الانتباه بدقة إلى سيرة مشاهير الموسيقيين يبين أنهم قد واجهوا تدريجياً مصاعب وصدمات نفسية خلال مراحل حياتهم حتّى فقدوا أعصابهم شيئاً فشيئاً، وابتُلي عدد منهم بأمراض نفسية، وجماعة فقدوا مشاعرهم وساروا إلى دار المجانين، وبعضهم أصيبوا بالشلل والعجز، وبعضهم أصيب بالسكتة، حيث ارتفع ضغط الدم عندهم أثناء عزف الموسيقى وقد جاء في بعض الكتب التي كتبت في مجال الآثار المضرّة للموسيقى على أعصاب الإنسان، حالات جمع من الموسيقيين والمغنّين المعروفين الذين أصيبوا بالسكتة وموت الفجأة أثناء أداء برامجهم، وزهقت أرواحهم في ذلك المجلس وخلاصة القول



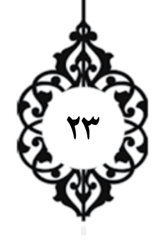
فإن الآثار المضرة للغناء والموسيقى على الأعصاب تصل إلى حد إيجاد ا لجنون، وتؤثّر على القلب وتؤدي إلى ارتفاع ضغط الدم وغير ذلك من الآثار المخربة. ويستفاد من الإحصاءات المعدّة للوفيات في عصرنا الحالي بأن معدل موت الفجأة قد ازداد مقارنة مع السابق، وقد ذكروا أسباباً مختلفة كان من جملتها الغناء والموسيقى.

الغيبة وسامعها من الأمراض السمعية واللسانية:

نريد في هذه العجالة أن نختتم كلامنا عن حق السمع بتناول موضوع الغيبة، ذلك لكونها من الأمراض المشتركة بين جارحتي السمع واللسان:

الغيبة من أعظم الذنوب وأكبرها:

إنّ رأس مال الإنسان المهم في حياته ماءُ وجهه وحيثيته، وأي شيء يهدّده فكأنما يهدد حياته بالخطر، وأحياناً يعد اغتيال وقتل الشخصية أهم من اغتيال الشخص نفسه، ومن هنا كان إثمه أكبر من قتل النفس أحياناً، إن واحدةً من حِكم تحريم الغيبة أن لا يتعرّض هذا الاعتبار العظيم للأشخاص، ويتعرض رأس المال آنف الذكر لخطر التمزق



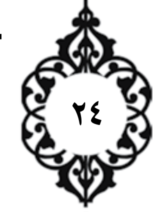


والتلوث، وأن لا تهتك حرمة الأشخاص، ولا تلوث حيثياتهم، وهذا مطلب مهم فرضه الإسلام باهتمام بالغ، والأمر الآخر إن الغيبة تولّد النظرة السيئة وتضعف العلائق الاجتماعية وتوهنها وتزلزل قواعد التعاون الاجتماعي، ونعرف أنّ الإسلام أولى أهميةً بالغةً من أجل الوحدة والانسجام والتضامن بين أفراد المجتمع، فكل أمر يقوي هذه الوحدة فهو محل قبول الإسلام وتقديره، وما يؤدّي إلى الإخلال بالأواصر الاجتماعية فهو مرفوض، والاغتياب هو أحد عوامل الوهن والتضعيف.. ثم بعد هذا كله فإن الاغتياب ينشر في القلوب بذور الحقد والعداوة وربما أدى أحياناً إلى الاقتتال وسفك الدماء.

والخلاصة أننا حين نقف على أنّ الاغتياب يعدّ أحد كبائر الذنوب فإنما هو لآثاره السيئة فرديةً كانت أم اجتماعية، وفي الروايات الإسلامية تعابير مثيرة في هذا المجال نورد هنا على سبيل المثال بعضاً منها:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وأربى الربى عِرض الرجل المسلم»[1]، وما ذلك إلا لأن الزنا وإن كان قبيحاً وسيئاً، إلا أن فيه جَنبة حق الله فقط، ولكن الربا وما هو

(١) المحجّة البيضاء، ج٥، ص٢٥٣.



أشد منه كإراقة ماء وجه الإنسان وما إلى ذلك فيه جنبة حق الناس بالإضافة لحق الله. وقد ورد في رواية أُخرى أنّ النّبي ﷺ خطب يوماً بصوت عال ونادى: «يامعشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتّبعوا عوراتهم فإنّه من تتّبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته»[1].

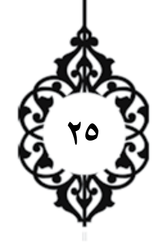
كما ورد في حديث ثالث أن الله أوحى لموسى عليه السلام قائلاً: «من مات تائباً من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة، ومن مات مصراً عليها فهو أول من يدخل النار»[2]، كما ورد حديث آخر عن النبي ﷺ أنه قال: «الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم من الآكلة في جوفه»[3]، والآكلة نوع من الأمراض الجلدية وهذا التشبيه يدل على أن الاغتياب كمثل الجَرب الذي يأكل اللحم، فإنّه يذهب بالإيمان بسرعة.

ومع الالتفات إلى أن بواعث الغيبة ودوافعها أمور متعددة كالحسد والتكبر والبخل والحقد والأنانية وأمثالها من الصفات المذمومة والقبيحة يتضح السر في سبب كون الغيبة وتلويث سمعة المسلمين وهتك حرمتهم لها هذا الأثر المدمر لإيمان الشخص، ونقل عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من

(١) المحجّة البيضاء، ج٥، ص٢٥٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أصول الكافي، ج٢، باب الغيبة، الحديث ١ . الآكلة نوع من الأمراض الجلدية.





روى على مؤمن روايةً يريد بها شينه وهدم مروته ليسقط من أعين الناس أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان»[1].

إنّ جميع هذه التأكيدات والعبارات المثيرة إنّما هي للأهمية القصوى التي يوليها الإسلام لصون ماء الوجه وحيثية المؤمنين الاجتماعية، وكذلك للأثر المخرّب. الذي تتركه الغيبة . في وحدة المجتمع والاعتماد المتبادل في القلوب، وأسوأ من كل ذلك أن الغيبة تؤدي إلى إشعال نار العداوة والبغضاء والنفاق وإشاعة الفحشاء في المجتمع. لأنه حين تنكشف عيوب الناس الخفية عن طريق الغيبة لا تبقى لها خطورة في أعين الناس ويكون التلوّث بها في غاية البساطة!

مفهوم الاغتياب:

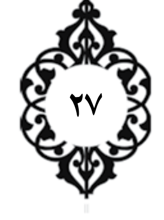
الغيبة أو الاغتياب كما هو ظاهر الاسم ما يقال في غياب الشخص، غاية ما في الأمر أنّه بقوله هذا يكشف عيباً من عيوب الناس. سواءاً كان عيباً جسدياً أو أخلاقياً أو في الأعمال أو في المقال بل حتى في الأمور المتعلقة به كاللباس والبيت والزوج والأبناء وما إلى ذلك مما يقال عن الصفات الظاهرة للشخص، الآخر لا يُعدّ اغتياباً، إلا أن يراد منه الذم والعيب فهو في هذه

(١) وسائل الشيعة، ج٨، الباب ١٥٧، الحديث ٢، الصفحة ٦٠٨.



الصورة حرام، كما لو قيل في مقام الذم أن فلاناً أعمى أو أعور أو قصير القامة أو شديد الأدمة والسمرة أكوس اللحية الخ ... فيتضح من هذا أن ذكر العيوب الخفية بأي قصد كان يعدّ غيبةً وهو حرام أيضاً، وذكر العيوب الظاهرة إذا كان بقصد الذم فهو حرام، سواءً أدخلناه في مفهوم الغيبة أم لا ؟! كل هذا في ما لو كانت هذه العيوب في الطرف الآخر واقعية، أمّا إذا لم تكن أصلاً فتدخل تحت عنوان البهتان وإثمه أشدّ من الاغتياب بمراتب. ففي حديث ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «الغيبة أن تقول في أخيك ما ستره الله عليه، وأما الأمر الظاهر فيه مثل الحدة والعجلة فلا، والبهتان أن تقول ما ليس فيه»[1]، ومن هنا يتبيّن أنّ ما يتبجّح به العوام من أعذار في الغيبة غير مقبول كأن يقول المغتاب: ليس هذا اغتياباً بل هو صفته، في حين إذا لم يكن قوله الذي يعيبه فيه صفة له فهو بهتان لا أنّه غيبة، أو أن يقول: هذا كلام أقوله في حضوره أيضاً، في حين أن كلامه أمام الطرف الآخر لا يترتّب عليه إثم الاغتياب فحسب، بل يتحمّل بسبب الإيذاء إثماً أكبر ووزراً أثقل.

(١) أصول الكافي، ج٢، باب الغيبة والبهت، الحديث ٧.



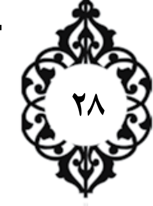
في دواعي الغيبة:

وهي كثيرة قد أشار إليها الإمام الصادق عليه السلام إجمالاً بقوله: «الغيبة تتنوع عشرة أنواع، شفاء غيض، ومساعدة قوم، وتصديق خبر بلا كشف، وتهمة، وسوء ظن، وحسد، وسخرية، وتعجب، وتبرم، وتزين»[1]، أما تفصيلها:

فالأول: وهو تشفي الغيظ، وذلك إذا جرى سبب غضب به عليه فإنه إذا هاج غضبه يشتفي بذلك بذكر مساوئ المستغاب فيسبق اللسان إليه بالطبع إن لم يكن له دين رادع وقد يمتنع تشفي الغير عند الغضب فيحتقن الغضب بالباطن فيصير حقداً ثابتاً فيكون سبباً دائماً لذكر المساوئ فالحقد والحسد من البواعث العظيمة على الغيبة.

الثاني: موافقة الأقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام، فإنهم إذا كانوا يتفكهون بذكر الأعراض فيرى الشخص أنه لو أنكر عليهم أو قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن أنه مجاملة في الصحبة، وقد يغضب رفقاؤه فيحتاج إلى أن يغضب لغضبهم إظهاراً للمساهمة في السراء والضراء فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوئ.

(١) بحار الأنوار ج ٧٢ ص ٢٢٧.



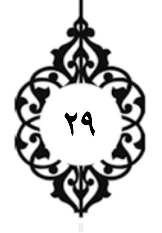
الثالث: أن يستشعر من إنسان ويظن من أنه سيقصده ويطول لسانه عليه أو يقبح حاله عند محتشم أو يشهد عليه بشهادة فيبادر أولاً قبل أن يفتضح حاله ويطعن في ذلك الشخص ليسقط أثر شهادته.

الرابع: أن ينسب الإنسان إلى شيء فيريد أن يتبرأ منه فيذكر الذي فعله حتى يبرأ نفسه وكان من حقه أن يبرأ نفسه ولا يذكر الذي فعل، فلا ينسب غيره إليه أو يذكر غيره بأنه كان مشاركاً له في الفعل ليمهد لذلك عذر نفسه في فعله.

الخامس: إرادة التصنع والمباهاة، وهو أن يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان جاهل وفهمه ركيك وغرضه في ذلك فضل نفسه ويوهم السامع أنه أفضل منه.

السادس: الحسد، وهو أنه ربما يحسد الإنسان أخيه الإنسان الذي يثني الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلاً إليه إلا بالقدح فيه فيريد أن يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن الكرامة والثناء عليه.

السابع: اللعب والهزل، وتوجيه الوقت بالذكر السيء فيذكر غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة ومنشأه التعجب والتعجيب.

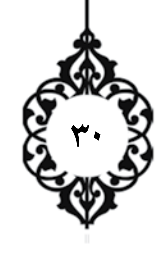




الثامن: السخرية والاستهزاء استحقاراً له، فإن ذلك قد يجري في الحضور وكذلك يجري في الغيبة، ومنشأه التكبر واستصغار المستهزء به.

التاسع: الرحمة، وهو مأخذ دقيق ربما يقع فيه الخواص وهو أن يغتم بسبب ما يبتلى به شخص فيقول هذا المؤمن: «فلان مسكين، قد غمني أمره وما ابتلي به» فيكون صادقاً في دعوى الاغتمام ويلهيه الغم عن الحذر بذكر اسمه فيصير بذكر اسمه مغتاباً فيكون غمه ورحمته خيراً لكنه ساقه الشيطان إلى الشر من حيث لا يدري، فيبطل ثوابه واغتمامه وترحمه على المؤمنين.

العاشر: الغضب لله تعالى، وهو كسابقه في غموض إدراكه ودقته وخفائه على الخواص فضلاً عن العوام، فإن المؤمن قد يغضب على منكر قارفه مؤمن آخر إذا رآه أو سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب أن يذكر غضبه عليه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يظهره على غير صاحب الفعل ويذكر اسمه بسوء بدعوى أنه قد غضب لله.





علاج الغيبة والتوبة منها:

إنّ الغيبة كسائر الصفات الذميمة تتحول تدريجاً إلى مرض نفسي، يلتذ المغتاب من فعله ويحس بالاغتباط والرضا عندما يريق ماء وجه فلان، وهذه مرتبة من مراتب المرض القلبي الخطير جداً. ومن هنا فينبغي على المغتاب أن يسعى إلى علاج البواعث الداخلية للاغتياب التي تكمن في أعماق روحه وتحضّه على هذا الذنب، من قبيل البخل والحسد والحقد والعداوة والاستعلاء والأنانية! وعلاجها إنما هو بالعلم بما يترتب عليه من المفاسد الدنيوية والأخروية وبالتدبر في المضار المترتبة عليها عاجلاً وآجلاً.

أما المضار الدنيوية فإنها تورث العداوة والشحناء وتوجب غضب المغتاب فيكون في مقام المكافاة وا لمجازاة لتشنيع المستغيب وبالتالي يغضبه ويؤذيه ويهينه ومن ذلك ينبعث الفساد وربما يؤول الأمر إلى ما لا يمكن علاجه بل قد يؤول إلى القتل وا لجرح وإتلاف الأموال وغيرها، هذا مضافاً إلى أن الغيبة إذا أصبحت ظاهرة بين الناس تؤدي إلى انتشار البغض والحسد والحقد بين المؤمنين مما يضعف البنيان الإيماني والإسلامي معاً.

وأما المضار الأخروية فيحصل التنبه عليها بالتفكر والتدبر





في الآيات والأخبار الواردة في ذمها وعقوبتها وبالعلم بأنها توجب دخول النار وغضب الجبار ومقته وتحبط الحسنات وتنقلها إلى ميزان حسنات المستغاب فإن لم تكن له حسنة نقل الله من سيئات خصمه بقدر ما استباحه من عرضه، قال صلى الله عليه وآله: «ما النار في اليبس أسرع من الغيبة في حسنات العبد»[1].

وإن كانت الغيبة في العيب بالخلق فليعلم أنه عيب على الخالق فإن من ذم الصنعة ذم الصانع.

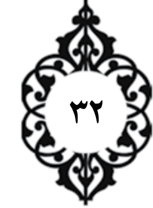
قيل لحكيم: يا قبيح الوجه، قال: ما كان خلق وجهي إليّ فأحسنه، وروي أن نوحاً عليه السلام مرّ على كلب أجرب فقال: ما هذا الكلب؟ فنطق وقال الكلب: يا نبي الله هكذا خلقني ربي فإن قدرت أن تغير صورتي بأحسن من هذه الصورة فافعل، فندم نوح عليه السلام على ما قال وبكى أربعين سنة فسماه الله نوحاً وكان اسمه عبد الملك أو عبد الجبار.

وروي أيضاً أنه مرّ عيسى عليه السلام ومعه الحواريون بجيفة كلب فقال الحواريون: ما أنتن ريح هذا الكلب! فقال عيسى عليه السلام: ما أشد بياض أسنانه، كأنه نهاهم عن غيبة الكلب وتعييبه[2].

فانظر إلى عظيم الخطر في تعييب الناس فإذا لم يرض أولياء الدين بعيب ميتة حيوان فكيف بعيب النفوس المحترمة،

(١) بحار الأنوار/ ج٧٢/ ص٢٢٩.

(٢) مستدرك الوسائل/ ج٩/ ص١٢١.





قـال رسـول الله ﷺ: «طوبـى لمن شـغله عيب نفسـه عن عيوب الناس»[1].

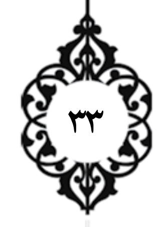
فعليـه أن يطهّر نفسـه عن طريق بناء الشـخصية والتفكير في العواقب السـيئة لهذه الصفات الذميمة وما ينتج عنها من نتائـج مشـؤومة، ويغسـل قلبـه عن طريـق الرياضة النفسـية ليستطيع أن يحفظ لسانه من التلوث بالغيبة. ثم يتوجه إلى مقام التوبة، وحيث أن التوبة من الغيبة فيها جنبة حق الناس، فـإن عليـه إذا كان ممكنـاً ولا يحصـل له أي مشـكل أو معضل. أن يعتـذر ممن اغتابـه حتى ولو بصورة مجملـة أو معماة كأن يقـول: إنـني أغتابك أحياناً لجهلي فسـامحني واعفُ عني ولا يطيل في بيان الغيبة وشـرحها لئلاّ يحدث عامل آخر للفسـاد أو الإفسـاد! وإذا لم يسـتطع الوصول إلى الطـرف الآخر، أو لا يعرفـه، أو أنه مضى إلى ربه فيسـتغفر له ويعمل صالحاً، فلعل الله يغفـر له ببركة العمل الصالح ويرضي عنه الطرف الآخر.

موارد الاستثناء:

وآخـر مـا ينبغـي ذكره في شـأن الغيبـة أن قانـون الغيبة كأي قانون آخر له استثناءات، من جُملتها أنه يتفق أحياناً في مقام الاستشـارة مثلاً لانتخاب الزوج أو الشـريك في الكسب وما إلى

---

(١) بحار الأنوار/ ج٧٢/ ص٢٢٩.

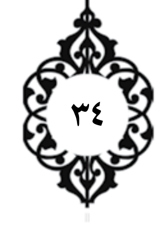




ذلك، أن يسأل إنسان أنساناً آخر، فالأمانة في المشورة التي هي قانون إسلامي مسلّم به توجب أن تبيّن العيوب إن وجدت في الشخص الآخر لئلا يتورط المسلم في مشكلة، فمثلُ هذا الاغتياب بمثل هذا القصد لا يكون حراماً، وكذلك في الموارد الأخرى التي فيها أهداف مهمّة كهدف المشورة في العمل أو لإحقاق الحق أو التظلّم وما إلى ذلك، وبالطبع فإن المتجاهر بالفسق خارج عن موضوع الغيبة، ولو ذكر إثمه في غيابه فلا إثم على مغتابه، إلا أنه ينبغي الالتفات إلى أنّ هذا الحكم خاص بالذنب الذي يتجاهر به فحسب، ومما يستدعي الالتفات أيضاً هو أن الغيبة ليست هي المحرمة فقط، فالاستماع إليها حرام أيضاً، والحضور في مجلس الاغتياب حرام، بل يجب طبقاً لبعض الروايات أن يرد على المغتاب، يعني أن يدافع عن أخيه المسلم الذي يراد إراقة ماء وجهه، وما أحسن المجتمعات التي تُراعى فيها هذه الأصول الأخلاقية بدقّة، ومما تقدم حول السمع وأهميته نفهم قول الإمام عليه السلام من أن السمع هو بوابة إلى القلب والفهم والتأثر سواء أكان خيراً أم شراً.

لذا سنفصل الكلام في الموارد التي يسوغ فيها الاغتياب وهي:

الأول: التظلّم، أي تظلم المظلوم بذكر ظلم الظالم عند مَن يرجو رفع الظلم عنه، قال سبحانه:



﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾(١).

فعن تفسير القمي قال: «أي لا يحب الله أن يجهر الرجل بالظلم والسوء ويظلم إلا من ظلم، فقد أطلق له أن يعارضه بالظلم»(٢).

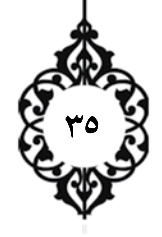
وجاء في جواهر الكلام: «ويؤيد الحكم فيه أن في منع المظلوم من هذا التظلم هو نوع من التشفي حرجاً عظيماً ولأن في تشريع الجواز مظنة ردع للظالم، وهي مصلحة خالية من المفسدة فيثبت الجواز، لأن الأحكام تابعة للمصالح»(٣).

الثاني: نصح المستشير، فإن النصيحة واجبة للمستشير وذلك لكون خيانته قد تكون أقوى مفسدة من مفسدة الغيبة، فقد قال النبي صلى الله عليه وآله لفاطمة بنت قيس المشاورة في خطابها: «معاوية صعلوك، لا مال له وأبو الجهم لا يضع العصا على عاتقه»(٤).

قال الشيخ الأنصاري قدس سره: «وكذلك النصح من غير استشارة فإن من أراد تزويج امرأة وأنت تعلم بقبائحها التي توجب وقوع الرجل في الغيبة والفساد لأجلها فلا ريب أن التنبيه على بعضها وإن أوجب الوقيعة فيها «اغتيابها» أولى من ترك نصح المؤمن مع ظهور عدة من الأخبار في وجوبها»(٥).

---

(١) سورة النساء: الآية ١٤٨.
(٢) تفسير القمي/ ج١/ ص١٥٧.
(٣) جواهر الكلام/ ج٢٢/ ص٦٦.
(٤) بحار الأنوار/ ج٧٢/ ص٢٣١.
(٥) المكاسب/ ج١/ ص٣٥٢.

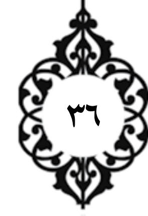




الثالث: الاستفتاء، كأن يقول للمفتي: «ظلمني فلان حقي فكيف طريقي في الخلاص»، ولقد قيده الشيخ العلامة بما إذا كان الاستفتاء موقوفاً على ذكر الظالم بالخصوص وإلا فلا يجوز.

واستدلوا عليه بما روي عن هند زوجة أبي سفيان أنها قالت للنبي ﷺ: «إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني أنا وولدي، أفآخذ من غير علمه؟» قال ﷺ: «خذي ما يكفيكي وولدك بالمعروف»، فذكرت الظلم والشح لها ولولدها ولم يزجرها ﷺ إذ كان قصدها الاستفتاء.

الرابع: تحذير المسلم من الشر وعن الوقوع في الضرر لدنيا أو دين، لأن مصلحة دفع فتنة الشر والضرر أولى من هتك شر المغتاب، مثل من يريد أن يشتري مملوكاً وأنت تعلم بكونه موصوفاً بالسرقة أو بعيب آخر، وكذلك المبتدع الذي يخاف منه إضلال الناس، فإذا رأيت من يتردد إلى مبتدع أو فاسق وخفت أن تتعدى إليه بدعته أو فسقه فلك أن تكشف مساوءه، ويدل عليه ما عن الكافي بسنده الصحيح عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي فأظهروا البراءة منهم وأكثروا من سبهم والقول فيهم والوقيعة وباهتوهم كي لا يطمعوا في الفساد في الإسلام، وتحذرهم الناس ولا يتعلموا من بدعهم يكتب الله



لكم بذلك الحسنات ويرفع لكم به الدرجات في الآخرة»[1].

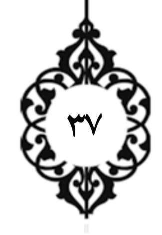
الخامس: قصد ردع المغتاب عن المنكر الذي يفعله إذا لم يمكن الردع إلا به، فإنه أولى من ستر المنكر عليه، فهو في الحقيقة إحسان في حقه مضافاً إلى عموم أدلة النهي عن المنكر.

السادس: باب الترجيح والتعديل في الرواية، لأجل معرفة قبول الخبر وعدمه ومعرفة صلاحيته للمعارضة وعدمها وإلا لانسد باب التعادل والترجيح الذي هو أعظم أبواب الاجتهاد وجرت السيرة عليه من قديم الزمان، كجريانها على ا لجرح في باب الشهادة وعلى ترجيح ما دل على وجوب إقامتها على ما دل على حرمة الغيبة على وجه الإشكال فيه وإلا لضاعت الحقوق في الدماء والأموال وغيرها ولغلب الباطل ويلحق بذلك الشهادة بالزنى وغيره لإقامة الحدود.

السابع: دفع الضرر عن المغتاب في دم أوعرض أو مال وعليه يحمل ما ورد في ذم زرارة من عدة أحاديث وقد ورد التعليل بذلك في بعض الأحاديث ويلحق بذلك الغيبة للتقية على نفس المتكلم أو ماله أو عرضه، فإن الضرورات تبيح ا لمحذورات.

الثامن: ذكر الشخص بعينه الذي صار بمنزلة الصفة المميزة التي لا يعرف إلا بها كالأعمش والأعرج والأشتر

(١) الكافي/ ج٢/ ص٣٧٥/ الحديث الثاني.





والأحـول ونحوهـا فـلا بـأس بها إذا صـارت الصفة في اشـتهار يوصـف بها الشـخص إلى حيـث لا يكره ذلـك صاحبها وعليه يحمل ما صدر عن علمائنا الأعلام.

التاسـع: إظهـار العيـوب الخفيـة للمريض عنـد الطبيب للمعالجة.

العاشـر: رد مـن ادعى نسـباً ليس له، فـإن مصلحة حفظ الأنساب أولى من مراعاة حرمة المغتاب.

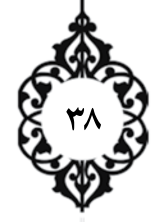
الحادي عشـر: إذا علم اثنـان عن رجل معصية وشـاهداه فذكر أحدهما تلك المعصية في غيبة ذلك العاصي جاز، لأنه لا يؤثر عند السـامع شـيئاً وإن كان الأولى تنزيه اللسان عن ذلك لغـير غرض مـن الأغراض الصحيحـة خصوصاً مـع احتمال نسيان المخاطب لذلك، أو خوف اشتهاره.

الثاني عشـر: غيبة المتجاهر بالفسق فيما تجاهر به فإن من لا يبالي بظهور فسقه بين الناس لا يكره ذكره بالفسق وقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «إذا جاهر الفاسـق بفسـقه فلا حرمة له ولا غيبة»[1].

وفي رواية أخرى: «من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له»

أمـا جواز غيبته في غير ما تجاهر بـه فقد منع منه الفقهاء،

(١) أمالي الصدوق/ ص٩٣/ حديث ٦٨.





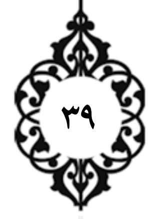
ولكن قد خالف الشيخ الأنصاري بقوله: «ظاهر الروايات النافية لاحترام المتجاهر وغير الساتر هو الجواز، وقال العلامة الحلي: وينبغي إلحاق ما يتستر به بما يتجاهر فيه إذا كان دونه في القبح فمن تجاهر باللواط «والعياذ بالله» جاز اغتيابه بالتعريض للنساء الأجانب، ومن تجاهر بقطع الطريق [على المسلمين] جاز اغتيابه بشرب الخمر، ومن تجاهر بالقبائح المعروفة جاز اغتيابه بكل قبيح ولعل هذا هو المراد بمن القى جلباب الحياء لا من تجاهر بمعصية خاصة وغدا مستوراً بالنسبة إلى غيرها كبعض عمّال الظلمة»[1].

حق البصر:

«وأما حق بصرك فغضه عما لا يحل لك، وترك ابتذاله إلا لموضع عبرة، تستقبل بها بصرا أو تستفيد بها علما، فإن البصر باب الاعتبار».

قد يعد البصر من أهم وسائل الاتصال بالعالم الخارجي الذي يحيط بنا، فبالتالي يكون من أكثر الجوارح التي توصل الصور إلى عقل الإنسان وبالتالي يتأثر القلب بها فالإمام عليه السلام يحذر من ابتذال البصر وطرحه في أي مكان أو مشهد من المشاهد ومن هنا تأتي أهمية النهي عن النظر المحرم أكدت

(١) المكاسب/ ج١/ ص٣٤٥ – ٣٤٦.





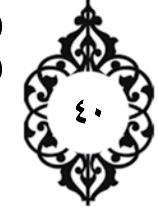
الكثير من الروايات الشريفة على خطورة هذا النظر المحرم على روح الإنسان المؤمن وقلبه لدرجة أنها تفسد الإيمان وتنسي الآخرة والحساب، ففي الحديث عن الإمام علي عليه السلام: «إذا أبصرت العين الشهوة عمي القلب عن العاقبة»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «يا ابن جندب إن عيسى بن مريم عليه السلام قال لأصحابه: أرأيتم لو أن أحدكم مر بأخيه فرأى ثوبه قد انكشف عن بعض عورته أكان كاشفا عنها كلها أم يرد عليها ما انكشف منها؟ قالوا: بل نرد عليها، قال: كلا، بل تكشفون عنها كلها - فعرفوا أنه مثل ضربه لهم - فقيل: يا روح الله وكيف ذلك؟ قال: الرجل منكم يطلع على العورة من أخيه فلا يسترها. بحق أقول لكم إنكم لا تصيبون ما تريدون إلا بترك ما تشتهون، ولا تنالون ما تأملون إلا بالصبر على ما تكرهون إياكم والنظرة فانها تزرع في القلب الشهوة، وكفى بها لصاحبها فتنة. طوبى لمن جعل بصره في قلبه ولم يجعل بصره في عينه لا تنظروا في عيوب الناس كالأرباب و أنظروا في عيوبكم كهيئة العبيد. إنما الناس رجلان مبتلى ومعافى، فارحموا المبتلى واحمدوا الله على العافية»[2].

---

(١) ميزان الحكمة ج ٤ص٣٢٨٨.

(٢) بحار الأنوار ج ٧٥ ص٢٨٣.





عواقب النظر المحرم:

إن جـزاء النظـر المحـرم عند الله تعالى شـديدة جدا، فبعض الروايـات عبرت عن صور عجيبة للذي يمـلأ عينيه من النظر الحرام ومن هذه العواقب:

يمـلأ عينيه ناراً: عن الرسـول الأكرم محمـد ﷺ «ومن ملأ عينيه من حرام ملأ الله عينيه يوم القيامة من النار، إلا أن يتوب ويرجع»[١].

الحسـرة يـوم القيامـة: فعن الإمـام علـي عليه السلام: «كم من نظرة جلبت حسرة»[٢].

فإن صاحب هذه النظرة له حسـرتان حسـرة في الدنيا وذلك لكونه لم يتحصل على مبتغاه والثانية هي حسرة الآخرة والله أعلم بمقدار هذه الحسـرة والندامة التي ستعتري الإنسان يوم القيامة حين يرى النعيم ويمنع منه لأجل نظرة إلى حرام.

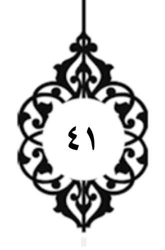
الغضب الإلهي: فعن الرسـول الأكرم ﷺ: «واشتد غضب الله عـز وجل على امرأة ذات بعل مـلأت عينها من غير زوجها أو غـير ذي محـرم منها، فإنها إن فعلت ذلـك أحبط الله كل عمل عملته»[٣].

---

(١) من لا يحضره الفقيه ج٤ ص١٤.

(٢) بحار الأنوار ج٦٨ ص٢٩٣.

(٣) بحار الأنوار ج٧٣ص٣٦٦.





بل يكفي على الإنسان معرفة إن هذا النظر فيه معصية للخالق وإن لم يكن له أي أثر فإن الابتعاد عن ساحة الله عز وجل هي من أكبر العقوبات التي يمر بها الإنسان، فهذا أمير المؤمنين عليه السلام يقر هذا المضمون في دعاء كميل حين يقول «وهَبْني صَبَرتُ على حرّ نارِكَ، فكيف أصبِرُ على فِراقِكَ»[1]

آثار غض البصر:

كما أن للنظر إلى الحرام عواقب فإن لغض البصر عن محارم الله تعالى آثار حميدة في الدنيا والآخرة، ومن هذه الآثار:

حلاوة العبادة: فالشيطان يسعى جاهداً ليوقع الإنسان في المحرمات التي يسهل الوقوع بها تحت ضغط الشهوات، كالنظر المحرم، فعندما ينتصر الإنسان على شيطانه بعد جهاد النفس يجد حلاوة الانتصار من جهة ويزداد إيمانه رسوخاً وقلبه نوراً من جهة أخرى، كما يحصل للجيوش التي أنهكها التعب بعد انتصارها، وقد ورد في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله «ما من مسلم ينظر امرأة أول رمقة ثم يغض بصره إلا أحدث الله تعالى عبادة يجد حلاوتها في قلبه»[2]

راحة القلب: ففي الحديث عن الإمام علي عليه السلام: من غض

(١) مفاتيح الجنان دعاء كميل.

(٢) ميزان الحكمة ج ٤ ص٣٢٩٢.



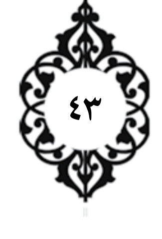


طرفه أراح قلبه ، ولعل راحة القلب تأتي بسبب التخلص من هذا المرض القاتل للحسنات والذي يجر صاحبه إلى النار.

الحصانة: وهي تحفظ الإنسان عن الوقوع في الذنوب ففي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «ما اعتصم أحد بمثل ما اعتصم بغض البصر، فإن البصر لا يغض عن محارم الله إلا وقد سبق إلى قلبه مشاهدة العظمة وا لجلال»[1].

من بعد هذه ا لجولة في الأحاديث الواردة في حدود النظر نجد أن هذه المشكلة بدأت تكبر شيئا فشيئا خاصة مع التطور التكنولوجي لهذا العصر وسهولة الوقوع في النظر ا لمحرم من قبيل القنوات الفضائية والتبرج الفاضح في الشارع والدس الكبير في الشبكة العنكبوتية كل هذه الأمور وغيرها جعلت المؤمن يعيش في زنزانة من الاحتياط والخوف من الوقوع من ا لمحرم، وقد تم بالفعل انطباق الحديث القائل «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر».

(١) .بحار الأنوار ج ١٠١ص٤١





النتيجة

من خلال استعراضنا لحقوق الجوارح نخرج بهذه النتيجة المهمة وهي أن الحفاظ على هذه الجوارح والالتزام بالحقوق التي وضعها الباري عزوجل للإنسان نجد أنها تورث التقوى والفضيلة لدى الشخصية المؤمنة وهذا هو الملاحظ من سيرة المتقين وذلك لكونهم أدّوا حقوق جوارحهم بما فرضه الله عليهم.

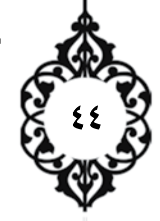
آيات التقوى

قال تعالى:

﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1]

---

(١) سورة البقرة: الآيات ٢-٥.



وقال تعالى:

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[1].

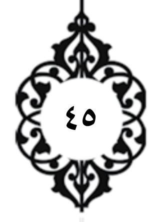
وقال تعالى:

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[2].

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «جماع التقوى في قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٧.

(٢) سورة آل عمران: الآيتان ١٣٣-١٣٤.



﴿الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1].

وقال ﷺ: «من اتقى الله عاش قوياً وصار في بلاد عدوه آمناً»[2].

وقال ﷺ: «خصلة من لزمها أطاعته الدنيا والآخرة وربح الفوز بالجنة، قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال ﷺ: التقوى، من أراد أن يكون أعزّ الناس فليتقِ الله، ثم تلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾»[3].

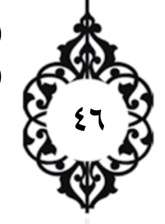
من هذه النصوص الإلهية وغيرها سنعرف طبيعة التقوى وهي فضيلة في أرفع معانيها وأجلّ صورها، إنها الإيمان بالله في أظهر حالاته وأسمى معانيه وهي الصبر في جميع المواطن وفي جميع الأحوال، وهي كظم الغيظ والعفو عن الناس وهي العدل فيهم والإحسان إليهم وغيرها من الفضائل، وإنما تبنى هذه الفضيلة التي تشمل جميع الفضائل والمحاسن الأخلاقية أولاً بالالتزام بالحقوق التي وضعها الله تعالى على جوارح الإنسان، ومن هنا نفهم أن الإمام زين العابدين عليه السلام أول ما بدأ به رسالة حقوقه هي حقوق الجوارح.

---

(1) روضة الواعظين/ ص٤٣٧.

(2) بحار الأنوار/ ج٦٧/ ص٢٨٣.

(3) بحار الأنوار/ ج٦٧/ ص٢٨٣.



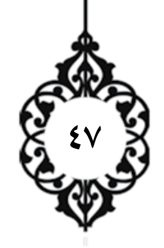


الخاتمة

لعلنـا قد أوجزنا من الشرح لهـذه الرسـالة العظيمة والتي سـيأتي تكملة لشـرحها آنفاً إن شـاء الله تعـالى في كتيب آخر، لكننـا أردنا أن نوضح بعض الالتفاتـات واللمحات الموجودة في هذا النص العظيم الذي لو وضع دستوراً للناس وطبق بشكل صحيـح لكان النـاس في هناء وسـعادة دنيويـة وأخروية، ولكن التطبيق سـيأتي بعون الله تعالى حين تنشر راية الحق على يد آخر الأئمة وأملهم الإمام الحجة بن الحسن عجل الله فرجه.

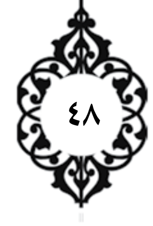
فلا يظنن أحد إن هذه الرسـالة العظيمة لاتطبيق لها وأنها مجرد نظرية مكتوبة على الورق، نسال الله أن يمد في أعمارنا لذلك اليوم الذي سـتطبق به هذه النصوص الشريفة وغيرها مـن النصوص التي وردت على ألسـنة الأنبياء والمعصومين إنه سميع الدعاء.

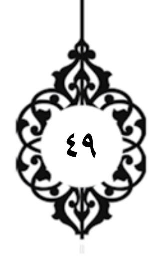
والحمد لله أولا وآخراً





الفهرس







أخذ الإمام السجاد عليه السلام على عاتقه تربية الأمة بأسلوب يرتقي بها إلى مصاف الكمال الإنساني وذلك من خلال رسالة الحقوق التي سبق بها كل العلماء والقانونيين في دنيا الإسلام بل في دنيا الإنسان في هذا المضمار الذي على أساسه ترتكز أصول الأخلاق والتربية ونظم الاجتماع.

لقد بينت رسالة الحقوق كيفية تنظيم العلاقات الفردية والاجتماعية للإنسان في هذه الحياة بنحو يحقّق للفرد والمجتمع سلامة العلاقات، ويجمع لهما عوامل الاستقرار والرقيّ والازدهار.

إنّ تنظيم العلاقات الاجتماعية على أساس تعيين مجموعة الحقوق بشكل دقيق هو الرصيد الأول للنظام الاجتماعي الإسلامي، فإنّ الذي يفهم بعمق هذه الرسالة ويستوعب بدقّة حقوق الله وحقوق العباد سيتسنّى له أن يفهم كيف ينتهج جادة الحق والصواب وتحصيل الثواب في الدنيا والآخرة، كما سيعرف كيف ينأى بنفسه عن مسالك الباطل وكيف يحصن نفسه من الذنوب التي تهتك العصم وتنزل النقم.

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الثقافة والإعلام - الشؤون الفكرية والثقافية
زورونا www.aljawadain.org
راسلونا fikriya@aljawadain.org